بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كثيرة هى كتب أدب الرحلات . . وهو أدب معروف من القدم ، لأن السفر عشق لم يستطع البعض مقاومته ، فهو بحث عن المجهول ، فيه متعة ، بقدر ما فيه من مغامرات . وفيه استكشاف لعوالم يبحث الإنسان عن أسرارها وغرائبها . .

والذين عرفوا كيف « يسيحوا» فى بحور العالم قلة خصوصاً هؤلاء الذين يستخدمون كل حواسهم ، لاستكشاف ما حولهم . . نعم يتمتعون ، ولكنهم أيضاً يدرسون ويرون ويغوصون بعيونهم ، وبعقولهم أيضاً وأحياناً ببطونهم !

ولقد خلف لنا المغامرون الأوائل العديد من قصصهم وحكاياتهم فى الشرق والغرب . وهؤلاء عرفوا كيف يصفون لمن جاء بعدهم أسرار رحلاتهم ، وغرائب مغامراتهم . وربما كان «ماركوبولو» فى مقدمة هؤلاء. ربما لأنه بدأ رحلاته وعمره ١٧ عاماً ووصل الصين وأعجب به «كوبلاى خان» امبراطور التتار ثم سافر إلى إيران وهى رحلة استمرت ٢٤ عاماً انتهت عام ١٢٩٥ . وعاد ماركو بولو ليروى ذكرياته فى آسيا وينقل للبندقية ثم أوربا كل ما رآه وعاشه هناك . .

وإذا كان المستكشفون الأوائل ورجال الكشوف الجغرافية قد اهتموا بالعسكرية وضم البلاد وإخضاع الشعوب . . إلا أن الرحالة كانت لهم مهمة أخرى . . هى الشعوب وعاداتها ، وكيف تحيا وتأكل وتعيش . .

وفى كل مكان سافرت إليه كانت عينى ، وعقلى أيضاً ، يطوفان المكان . ربما كنت أحاول أن أستعيد ما قرأت عن نفس المكان قبل هذا بسنوات عديدة ، سواء للأدباء العرب . . أو الأجانب . فأنا من عشاق أدب الرحلات تماماً كما تشدنى التراجم وسير العظماء . وكان هذا مسلكى فى كل رحلاتى فى غرب أفريقيا حتى الصحراء الكبرى التى كانت فى أسبانية . أو فى أمريكا ، أبحث عن الهنود الحمر وأعيش حياة «الويسترن» فى الغرب الأمريكى . أو فى أوربا حيث الحضارة الغربية والعمارة . . والحياة التى لاتتوقف . . تماماً كما عشتها على ضفاف البوسفور حيث أساطير ومؤامرات ومغامرات سلاطين آل عثمان، أو فوق جبل أوليمب حيث اكروبول أثينا وآلهة الإغريق . . ولصوص التاكسى فى أثينا !! أو حتى فى جبال ظفار وغاباتها الاستوائية وشراب جوز الهند تحت ظلال أشجار الجوز والباباز ، وغير بعيد عن أسراب أسماك السردين الفضية التى تغطى رمال شواطىء خليج عُمان حيث المحيط الهندى ، أو بحر العرب . .

وبين ليالى لاس فيجاس وموائد القمار وسط صحراء نيفادا ولوس انجليس حيث الصراع الأبدى بين البيض والملونين . .

ومن فوق جبال شامخة ينصب الأكراد الآن خيامهم مطاردين من إيران والعراق وتركيا . . وروسيا . . !

ولم أكن أرى فى رحلاتى الشوارع والمبانى والمسارح ودور الأوبرا والمكتبات فقط . بل غصت داخل المطبخ . أبحث عما يأكلون ويشربون ويلهون .

كنت أطبق فلسفة المرأة فى فرض سيطرتها على الرجل . . ذلك أن أقرب طريق إلى قلب الرجل هو . . معدته !! من هنا كنت أحاول أن أصل إلى سر كل شعب من خلال معدته : ما يأكل ويشرب . . وكيف يتمتع !!

ومن هنا فإن هذا الكتاب يجمع بين غرائب الأسفار والرحلات . . وبين عجائب ما يأكله كل شعب . ويهمنى هنا أن أؤكد أن كل ما كتبته هنا رأيته بعينى . . وتناولته بشراهة !! فقد كنت أطبق فى حياتى القول الرومانى المأثور : « إذا كنت فى روما . . فافعل ما يفعله الرومان» .

فقد كنت أتناول مما يأكلون . وكنت أفعل ذلك وأنا على اقتناع بأن ما يأكلون إنما هو طعام صحى تماماً حتى ولو ظهر لنا غير ذلك . مثلاً وأنا فى مدينة روستوك وهى أقصى مدينة ألمانية فى الشمال على بحر البلطيق حذرونى من شدة البرد . إذ كانت درجة البرودة ٢٥ تحت الصفر . قالوا لى يجب أن تأكل كما نأكل حتى تستطيع ـ مثلنا ـ أن تقاوم الجليد . . وقد فعلت !! كنت أدخل

المطعم وأقف خلف الألمانى العملاق « ١٢٠ كجم على الأقل » وأقلده وأحمل مثل ما يحمل على صينية الطعام فى «مطاعم اخدم نفسك » . . وكان لابد أن أفعل ذلك !

وفى الخليج العربى ـ فى رأس الخيمة مثلاً فى دولة الإمارات العربية أكلت « ولد الولد » وهى صغار سمك القرش فى أيامها الأولى ويعتقدون أنها وجبة مقوية للغاية بل وأفضل من أعشاب الجينسينج الكورية المشهورة . . وهى كذلك بالفعل !! ولهذه الوجبة طقوس وأصول فى إعدادها . وشربت أغلى شوربة فى العالم : شوربة زعانف وذيول سمك القرش !!

وفى ميونيخ عشت يوماً وليلة وسط عشاق البيرة ، وكان ذلك فى «عيد أكتوبر» والبافارى ابن بافاريا وحيث العاصمة ميونيخ يتنافس البافاريون على من يصمد حتى النهاية فى ليالى البيرة فى هذا العيد . . والبافارى القح هو من يشرب عشرة أقداح من البيرة . . وبالمناسبة القدح الواحد يملأ خمس أكواب مصرية كبيرة . . أى أن البافارى حتى يؤكد الانتماء عليه أن يشرب خمسين كوباً من البيرة . . ولم أفعل ذلك !!

ولقد عشت «ليلة المولد» فى عيد أكتوبر هذا فى المدينة التاريخية ميونيخ .وهو مولد عصرى متحضر ولكن أين مولد السيدة . . أو مولد السيد البدوى مما رأيت فى مولد ميونيخ ؟! . . فقد أكلت كل شىء . المملّح والمسكّر الحامض ، والمخلل السكرى ، الرنجة المشوية ، والماكريل المقلى ، الدجاج العتاقى

يسبح فى الزبد . والحلو : تلال من الشيكولاته والبونبون وغزل البنات . وركبت المراجيح العصرية والساقية القلابة . . وأصابنى الفزع فى بيوت الرعب وكنج كونج . ولم أعد إلى غرفتى بالفندق . . إلا مع إشراقة الشمس !!

وفى ميناء ريخيوت غرب مدينة صلالة عاصمة ولاية ظفار العمانية ، تحسرت على ضياع أكبر زوج من الاستاكوزا رأيته فى حياتى . . وكان المطلوب مجرد عشرة ريالات عمانية للزوج !!

وفى أقصى شمال شرق دولة الإمارات قرب مضيق هرمز فى مدخل الخليج العربى ، جلست طويلاً أستمع إلى قصص وأساطير صراع الصيادين مع «الديبة» أو الذئبة وهى أخطر أسماك القرش التى كانت تقفز فوق سفن الصيد لتقتنص وهى فى طريقها للبحر من جديد صياداً وقف على حافة المركب . . قصص سمعتها من آثار ضربات القرش تركت بصماتها على أجسادهم . ورغم هذا لم يتوقف ابن الامارات العربية عن صيد القرش ، فقد كانت ثروة كبيرة . سواء فى «ولد الولد » الذى يعشقه ابن الإمارات مقلياً بالبصل فى الأرز كمصدر للحياة الزوجية السعيدة . . أو من أجل زعانف وذيول القرش الكبير الذى يصدَّر إلى اليابان وجنوب شرق آسيا لتتحول إلى أغلى طبق شوربة فى العالم . . وهو طبق مقو . . أيضاً .

وكما أكلت المانجو المخللة بالكارى . . عشقت طاجن

سمك الحنشان بعسل النحل فى لندن . أو قارب البط الصينى بشرائح الخوخ والبرقوق فى الميناء الألمانى الشهير هامبورج . ولن أنسى وعاء بلح البحر فى شوربة الضفادع بعيدان الكرفس الافرنجى فى المطعم الشهير فى شارع الشانزيليزيه . . وقبله المقبلات الفرنسية الشهيرة .

وفى إمستردام المدينة التى سرقها الهولنديون من خليج « زيدر زى» أكلت أشهى وجبة رنجة مملحة فى حياتى مع شرائح البصل الطازج والفلفل والخيار المملح . . ولإحداث التعادل فى معدتى كان الحلو اثنين كيلو فراولة !

رحلات عديدة طفت فيها بالشرق والغرب . . وعدت لأسجلها بالكلمة فى نوع جديد من أدب الرحلات عماده ما يأكله الناس فى آسيا . وأفريقيا . وأوربا . وأمريكا .

●● تعالوا معنا نكتشف الشرق والغرب من خلال ما يأكل الناس . . ويشربون ، وأنا واثق ـ عزيزى القارىء ـ من إعجابك بالمائدة التى أقدمها لك من خلال هذا الكتاب .

عباس الطرابيلى

العجوزة : ابريل ١٩٩٤